

إيقاف العروض يكشف خلا خطيرا في المسرح التونسي

مسرحيون تونسيون: الممثل يعاني وعلى الكبار أن يكفوا عن عرقلة الأجيال الجديدة



الممثل المسرحي مازال يبحث عن كيانه في تونس

يؤمنوا بالاستمرارية والاختلاف والتنوع وان هذا لا ينبغي ذلك. اما غسان الغضاب فيقول "الوضع الحالي يجعل مني أختفى على المسرح والمسرحيين من التلاشي وفقدان الأمل في التواجد داخل دولة تناهت فنانيها وأغلقت الأبواب أمامهم لتقطع أرزاقهم، ما يجعل أغلب المسرحيين يفكرون في الهجرة أو الابتعاد عن الميدان وهناك منهم من اختار الموت. لا مستقبل للمسرح مع تهيمش الدولة له منذ سنين إلا بثورة ثقافية جديدة".

من ناحية يقول طلال أيوب "الحقيقة المسرح في العالم بأكمله في وضع حرج وليس في تونس فقط فالظرف الحالي الغنى التقاء الممثل بالمتفرج، وهذه بادرة فريدة، فالمسرح لم ينقطع نشاطه منذ القرن الخامس قبل الميلاد إلى اليوم، فقد استمر رغم قمع الكنيسة في القرون الوسطى وأقيمت العروض في فرنسا زمن الحرب العالمية، لكن هذه الجائحة هدته اليوم استمرار المسرح وجعلت المسرحيين في العالم يفكرون في تجارب جديدة وفي إمكانية اقراض المسرح ففأجربوا جديدا أو استمرار الكورونا قد يقضي على هذا الفن".

المسرحيون الجدد في تونس يواجهون مشاكل إغلاق المسارح وعرقلة السابقين وغياب استراتيجيا واضحة من الدولة

لكنه رغم كل ذلك لا ينبغي أن هناك أملا في عودة المسرح وعودة الحياة إليه، فتونس تتميز بمبدعيها وتطور مسرحها وحماستها فنانيها، الذي يجعل من المسرح التونسي منظورا، وذلك عبر الإيمان بالجيل الجديد الخائر الذي يحتاج فقط إلى بعض الاعتبار والتشجيع وملاعمة القرار السياسي لتطاعته. وتقر سهام عقيل أن مستقبل المسرح التونسي مرتبط بمستقبل المجتمع، وما نشهده اليوم هو مرحلة متوحشة من الممثلين نحو الشاشات وما يقدمونه من خطاب على الركح كذلك. لا يمكن أن نتحدث عن مستقبل للمسرح التونسي بأفضية مسرحية مقفرة وقليلة الجماهير".

عرف المسرح التونسي تطورا كبيرا مع فرقة "المسرح الجديد" في سبعينات القرن الماضي، لكنه اليوم يعاني من تراجع له أسباب عديدة، لعل أهمها ضعف التواصل بين الجيل السابق والجيل الذي يليه، ومشاكل أخرى كثيرة على مستوى التنظيم والقوانين والدعم وغيرها من إشكاليات استطلعت "العرب" تفاصيلها وسبل علاجها مع عدد من المسرحيين التونسيين.

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

التي تونسية رسميا بمهنة التمثيل كوظيفة بإمكان القائم بها أن يعيش منها وتكون عملا دائما.

ومن جهة أخرى، يشدد المي على ضرورة إلاء قيمة فكرية وفنية وذوقية وجمالية لوجود مهنة الممثل ككيان كائن وموجود بشكل كامل، ويحظى بالديمومة والاستمرار، للمقاومة وجوده الهش كصاحب مهنة هش.

ويتابع المي "المشكلة الثانية هي أن النشاط المسرحي المحترف في تونس ما زال يشغل بصفة بدائية وعرضية ظرفية لم تصل إلى مرحلة التواجد الحقيقي من خلال خلق سوق مسرحية وطنية، ذات حركية مستمرة ونشطة، إضافة إلى خلق سوق ثقافة، يقبل خلالها المواطن التونسي على استهلاك المنتج الثقافي الوطني بما في ذلك المسرح التونسي، هذا يعود أصلا إلى سياسة الدولة وإلى مؤسسات الثقافة والمسرح والمسرحيين على أن يكونوا قوة مقترحة للتطوير والتغيير".

ويلفت المخرج إلى مشكلة أخرى يعاني منها الممثل المسرحي هي قلة تواجده في المشاريع السينمائية والتلفزيونية بنسبة الثلثين، مقابل تغلغل الدخلاء من مجال الاستعراض من الطامحين للشهرة.

يقول المسرحي طلال أيوب "إن الممثل في المسرح التونسي يعاني من مشكلة أساسية وجوهية في الاعتراف بمهنته وتنظيمها إلى اليوم، رغم أن المسرح موجود منذ 110 أعوام في تونس والاحتراف والجودة متطوران، لكن يبدو أن ليس هناك نية لاعتراف حقيقي بالممثل المحترف، وبأن التمثيل يمكن أن يكون مهنة، إضافة إلى غياب قانون مهنة الفنون الدرامية".

ويتجلى التهميش في رأي أيوب، خاصة في خطاب السياسيين، ومن أبرزهم رئيس الحكومة الذي يعتبر العمل الفني والثقافي مجرد ترفيه. ويضيف "مع الأزمة الحالية زاد الوضع سوءا مع وقف كل نشاط ثقافي فعلي منذ مارس 2020، وحتى بعض العروض القليلة التي تم تقديمها في فصل الصيف لم تف بالغرض، فقد مرت 8 أشهر من حالة تشبه الشلل، ما يهدد جديدا الممثلين من ضمان العيش الكريم، رغم أن أغلب الممثلين المحترفين هم أساتذة مسرح أو من الشباب الأقل من 35 سنة إلا أن الوضع حرج".

ويعتبر أيوب أنه عامة معاناة الممثل في تونس مرتبطة بالاعتراف الحقيقي والفعلي، فرغم تحرر المسرح بعد الثورة من "الصنعة" ومقص الرقيب إلا أنه لم يتحرر من التهميش الذي عرّته اليوم الأزمة الصحية وكشفت المنظومة الثقافية الهشة التي سقطت على رأس ممارسيها. ومن أبرز نتائج هذا الظرف هو تغيير العديد من الممثلين مهنتهم كمسرحيين بصفة قطعية.

من جانبها تقول الممثلة المسرحية أمينة الدشراوي "قبل أن نتحدث عن المشاكل التي يعانيها الممثل المسرحي، لا بد من التساؤل حول ماهية الممثل المسرحي في تونس فقد يبدو لا وجود له ككيان متفرغ للتمثيل على الركح دون القيام بالنشطة الأخرى تضمن له العيش الكريم وتحفظ ماء الوجه. من ذلك، فإن المعاناة التي يشهدها الممثل المسرحي تتشكل في عدم قدرته على التفرد للركح فهو يلجأ إلى التدريس أو التواجد في وسائل الإعلام الرديئة وبالتالي لا يتحقق هدفه الأسمى في تحقيق الفعل النبيل التام إلا وهو المسرح".

وتتابع "خلاصة القول لعل غياب الجمهور ونفوره من المسرح وعدم تنظيم القطاع وانعكاساته الوخيمة على المردود المادي للممثل والرداءة المهولة المحيطة بالميدان الفني والثقافي هي من أهم المشاكل التي يعانيها الممثل المسرحي". ويرى الممثل غسان الغضاب أن المشاكل التي يعاني منها الممثل المسرحي

الغنان/ الممثل ليووجه دوره الحقيقي في تطور البنى المجتمعية للبلد عوض الهروب إلى الهجرة أو الغياب الكلي أو النسيان. كما توكل الحل إلى القضاء بأن يقضي على أجهزة الفساد البصري التي تستعمل الممثل وترفضه لخطاب تجهيلي دون وعي منه في أغلب الأحيان، لتعيد مؤسسات الدولة في أشكال الإنتاج بعد وضع غايات محددة لها دون السقوط في خدمة الخطاب الأيديولوجية التي ساهمت مباشرة في تفشي الجريمة والعنف داخل المجتمع.

وتتابع "الدور الرئيسي للممثل اليوم هو أن ينتبه ويعيد النظر في مسؤوليته التاريخية أمام الأجيال التي أخذها الهوس واليأس والإجباب نحو التوحش. على الممثل اليوم أن يلجأ إلى المعرفة الحقيقية بما يجب أن يكون دون السقوط في دور "مهرج الإنتاج السهل" وأن يصبح جسده "جسد إشهار" رديء، فالممثل تعبيرة جمالية بامتياز وهو فكر متواصل واع ونقدي لما هو كائن، الممثل هو وجود سياسي خلاق يدعم الجمال أينما كان ويؤمّن الظلم أينما حل".

ويقتر عمار المي بأن الحلول تكمن بمشاهدة. وخلق مناخ وآساليب جديدة لدعم الإنتاج المسرحي بشكل يضمن الحق المادي لكل المشاركين بما في ذلك الممثل.

ويضيف المي "لا بد من خلق سوق داخلية لتدوير العروض بشكل شهري، ومن الضروري أيضا تنشيط الدبلوماسية الثقافية لتخلق سوق خارجية لترويج العروض المسرحية، علاوة على تشجيع القطاع الخاص وربح الأعمال على إنتاج العروض المسرحية".

ويقترح طلال أيوب تعديل ميزانية وزارة الثقافة ورد الاعتبار لأهمية الفن والثقافة في نشر الوعي وإعادة بناء مجتمع وروح جديدة، فالجماعات لا ترتقي بالأك والنوم والصناعة بل بثقافتها وفكرها. ومن بين الحلول كذلك التسريع في إصدار قانون المهنة الفنية وتنظيم القطاع الثقافي وإشراك أهل القطاع كمؤسسين في هذه القوانين. وتعتقد أمينة الدشراوي أن كلفة الهياكل المهتمة بالشأن المسرحي مثل الشركات الخاصة ومراكز الفنون الدرامية والركحية باتت تشكل عائقا أمام تطور الفعل المسرحي إذ تعود جميعها بالنظر إلى وزارة الشؤون الثقافية وتنتظر جميعها رؤية "هلال الدعم"، لذلك فنحن في أمس الحاجة إلى مصادر تمويل أخرى داخلية كانت أو خارجية مع إعادة هيكلة القطاع ووضع استراتيجيات

يعيش القطاع المسرحي التونسي أسوأ أزماته على الإطلاق بعد انتشار جائحة كورونا وما فرضته من إغلاق للمسارح، وتوقف للنشاط يهدد القطاع بشكل جدي.

وقد اختارت "العرب" في حديثها إلى فنانين مسرحيين تونسيين من الأجيال الجديدة أن تسلط الضوء على أهم المشاكل التي يعاني منها المسرح التونسي اليوم، ورؤاهم للحلول الممكنة ومستقبل المسرح التونسي.

لا وجود للممثل

تري الكاتبة والمثلة المسرحية سهام عقيل أن الممثل في جل القطاعات البصرية الفرجية ليست له هوية ثابتة تتردد وجوده داخل بنيت المجتمع، بل هو ينتمي إلى مصاف المجانين أي على هامش المجتمع الإنتاجي المادي.

لا يساهم الممثل، في رأياها، بغنه في دورة الإنتاج الاقتصادي لأن الجهات المنتجة العمومية والخاصة تعتبره وسيلة من وسائل الإنتاج الثانوية ولا تتعدى وظيفته حد الترفيه المجاني، فجدد الممثل دائما على منصات الفرجة في حضور مناسباتي يرتبط أساسا بما يتبعه الشركات الخاصة من مواد استهلاكية، فهو مطية لدعم المنتجات الغذائية والاستهلاكية أساسا.

وتقر بانسه لا توجد أنطولوجيا حقيقية لمهنة "الممثل" خارج الإطار الإنتاجي الذي لا يعرف قدرة هذا الفن تاريخيا وحضاريا.

وتضيف "تنساق الأغلبية أي من اختاروا أن يمتهنوا صفة "الممثل" نحو هذا التصور البليد والسهل لتحمي نفسها من الفراغ والفقر وأزمة الاعتراف. فتجد في الجانب الأخرى عن يبحثون لأنفسهم عن وجود تاريخي حقيقي عضو يتصل بقضايا الشعب الحقيقية يعانون التهميش والموت البطيء في أغلب الأحيان والهجرة نحو بلدان أخرى تعترف بالممثل ماديا ومعنويا".



ومن جانبه يرى المخرج المسرحي عمار المي أن أول مشكلة تخص الممثل المسرحي في تونس هي مشكلة تاصيل مهنة الممثل كمهنة رسمية وحقيقية ضمن المهنة المعترف بها، أي أن تعترف الدولة